على غير معرفة منهم في العادة و مما أدمج القانون الروماني في القرن الثالث عشر ودام الى آخر القرن السادس عشر فعدلت به العادات القديمة كل التعديل ولا سيما وقد أضعف سلطة السادة والشريعات التي سكت عنها القانون الروماني وقوّى سلطة الملك وحكامه لان المشرعين قد ماشوا الى الملك كل ما كان يطلبه القانون للامبراطور أو الوالي من الحقوق كما طبقوا على عماله كل ما طلبه القانون الروماني لولاة الرومان وحكامهم وفي قانون الرومان (ان ما يرضي به الامير يكون قوة قانونية) فأصبحت هذه الحكمة قاعدة الحكومة في فرنسا وفي اوربا وكانت أساس السلطة المطلقة .

* * *

رحلة الى المدينة المنورة

البلقاء

الى الجنوب مائتين وأربعين كيلو مترا من جنوبي دمشق بين نهر الأردن غربا وسكة الحجاز في طريق الحج شرقا ونهر الزرقاء شمالا ووادي الموجب جنوبا اقليم واسع خصب سهلي جبلي اسمه البلقاء طوله من الشمال الى الجنوب ١٥ ساعة لماشي الجد وعرضه من الغرب الى الشرق ١٦ ساعة او نحو مئة كيلو متر في مئة كيلو متر وهذا الاقليم الذي يبلغ مساحته ربع مساحة سويسرا هو المنحدر [illegible] حافة على قمة السلط [illegible] مبنية [illegible] من الجنوب [illegible] في محل الكرك ومن [illegible] البلقاء [illegible] بين الشام ووادي العربة [illegible] فيه [illegible] كثيرة [illegible] وقيل ان السلط هي راموت جلعاد احدى مدن الملجأ ومدن اللاويين المذكورة في الكتاب المقدس وربما اشتق اسمها [illegible] الصلت أو السلط من لفظة لاتينية سالتوس ومعناها [illegible] المشجرة وكانت في [illegible] مدينة أسقفية في العهد المسيحي وخرب المغول قلعتها ثم أعاد بناءها الظاهر بيبرس البندقداري

وموقع السلط على منحدر جبلين متقاربين [illegible] يشبه موقع زحلة في لبنان وكانت منذ ثلاثين سنة خاوية من الفلاحين والسكان فعمرت همة اهلها على استثمار

الاشجار والعقول فضاداً كثيرها عما عداه من العيون التي تروي زروع الوادي اما ما كان وراء المدينة من الغابات والآكام فقد تحول خرابها الى عهد قريب وآثار بعض سدوده ومياهه برحت باقية للعيان ولكن القوم قطعوها واستعاضوا عنها بزراعة الكروم التي لا تعد عنبها وربما تجهل قيمة هذه الشجرة المباركة في سورية فقد يكون العنقود الواحد رطلا شاميا او اكثره بلا بزر يصلح من زبيبه ما تقدر قيمته كل سنة بنحو خمسة عشر الف ليرة وفي جوار الساحة قليل من شجر الزيتون فسألنا احد شيوخهم عن السبب الذي دعا الى عدم استكثار القوم من غرسه فقال لا تذكرنا بعداوة فقد حملنا مجيد باشا شميدري احد متصرفي المدينة ايام كان قضاؤنا ما لنا بالناس على ان نغرس في هذه الاودية التي تراها مئة الف زيتونة ووقع في احسان في الامر دسيسة من الحكومة تريد بها وضع الضرائب الفاحشة على املاكنا كما تفعل بالاملاك في سورية لا سود معها ملاك الحقيقيين فصدقنا الامر في الظاهر وغرسنا اليوم من شجر الزيتون ولكن الدري كيف تخلصنا منه بعد كل احد منا يحتال بالا الى غرسه الزيتون فيحركها حتى لا يطلع حنفيها وهكذا لم يبق من كل الغرسة السلطانية الا ما شاهدناه اليوم في جوار الغيضة وقليل ما هو

فانظر وتعجب كيف تبدل تصورات الناس فرجال الحكومة بالامس كانوا يحملون الناس على زرع الاشجار ويرغبون في احياء الاراضي لزراعتها واليوم يطلب الاهلون في هذا القضاء وفي جهة الاراضي الموات ليحيوها ولا يعطون طلبهم وكذلك الحال في كل مكان نزلناه في طريقنا من يثرب فان الاهلين احتضنوا هذه الارض فطلبوا ان اهل البلد من عمال الحكومة [illegible] وهكذا سمعنا شكوى اهل الكرك وتبوك ومدائن صالح اجمع على طلب ذلك الماء والوادي ولكن لا حياة لمن تنادي في حين ورد في قانون الاراضي ان كل من يحيي ارضا مواتا بعيدة عن القرى والمساكن مقدار ما يسمع الصوت فهي له فاين هذا القانون المسطور من عمل الحكومة اليوم

قرأنا مقدار الغنى والنشاط في وجوه السلطانيين مسلميهم ومسيحيهم وان كانت القاعدة في سورية كما ان يكون المسيحيون أكثر نشاطاً وعملا من اخوانهم في

الوطنية. ويدعم هذا [illegible] الخارجية [illegible] في تطور العمران ويوشك أن يمتد إلى [illegible] الطرقات من الشمال [illegible].

وسكان مدينة السلط اليوم نحو ١٥ ألف نسمة [illegible] المسيحيون منهم على اختلاف طوائفهم نحو [illegible] آلاف ومعظمهم إلى اليوم يلبسون زياً كزي أهل حوران وهو كوفية وعقال وعباءة [illegible] وفي السلط [illegible] والزراعة في تلك الأرض [illegible] من جهة السلط [illegible] والسيارات بين السلط والخط الحديدي في عمان وهي الآن أربع ساعات على الدواب وأما [illegible] السلط [illegible] للمركبات أيضاً [illegible] السلط [illegible] على بعد [illegible] ميلاً إلى الشمال الشرقي من بيت المقدس و[illegible] ميلاً إلى الجنوب الشرقي من [illegible] شرقي الأردن.

ومن يريد [illegible] السلط [illegible] من السلط إلى عمان [illegible] الحجازية [illegible] فضاء السلط [illegible] أخرى [illegible] المعادن التي [illegible].

على [illegible] من قصبة السلط [illegible] جبل [illegible] عن سطح البحر وهو مشرف على [illegible] فلسطين [illegible] وادي الأردن كله [illegible] نهر الأردن [illegible] البحر الميت أو بحيرة لوط [illegible] جبل الزيتون في [illegible] الشرقي [illegible]

ثم جبل الطور وما يواجهه من الجبال المحيطة ببحيرة طبرية ومن بعده جبل الشيخ وبه تنتهي هذه النظرة من الشمال .

ويقول العارفون من الافرنج ان الاعتقاد بالنبي يوشع الذي يتبرك به البدو ويقرون بانه هو من التقاليد الاسرائيلية القديمة وان بناء قبره يرد الى زهاء ثلاثمائة سنة . وليوشع مقام أيضاً في جبل الطور قرب قرية حارث وجبل يوشع في البلقاء أشبه بيوشع تپه سي أي ربوة يوشع في قرية بيكوز المطلة على بحر مرمرة وخليج القسطنطينية هنا منظره بحري وذاك منظره بري ومن غريب التقاليد ان البدوي يحلف بالله ولكنه لا يحلف بشعيب . ومقام شعيب على ساعتين من السلط أيضاً .

كانت عمان قصبة البلقاء فخلت في أواخر القرن الماضي بما تواتر عليها من الزلازل وغارات البادية حتى جلا عنها اهلها سكانها الاصليون فنزلت فيها الحكومة منذ ٣٤ سنة ستمائة أسرة من الجركس من عشائر مختلفة هاجروا الى البلاد العثمانية من ولاية كوبان الروسية وأخذوا يردون غارات البادية واعتمدوا في عمرانها على نشاطهم وشجاعتهم وبنوا في الحاضر مدينة صغيرة قريبة لهم وساعدتهم مياه نهر الزرقاء فغرسوا الاشجار وانشأوا الحدائق وأتوا بطريقتهم المألوفة لهم في الزراعة ببلادهم وقد هلك منهم اناس كثير من الحمى والامراض حتى توطدت اقدامهم واغتنوا واصبحت الحكومة بعد ان كانت تأخذ من عمان مئة ريال في السنة تتقاضى نحو ثلاثة آلاف ليرة ولا تلبث ان تزيد بزيادة عمران عمان واتساع تجارتها على أيدي النشيطين من النابلسيين والدمشقيين ومعظم تجارة البلقاء في أيديهم اليوم .

نقول انها كانت مدينة عظيمة والدليل ان الخاص دار تمثيلها كبيرة جداً تكفي لجلوس ثلاثة آلاف نسمة وفي مسرحها ٤٥ صفاً على شكل نصف دائرة وفيها آثار قلعة مهمة ومعظم جدرانها بنيت من احجار المدينة القديمة وكذلك قرية رأس عمان الحديثة الواقعة على قيد غلوة من عمان وسكانها جراكسة أيضاً .

لا جرم ان الجركس ادخلوا روحاً جديدة الى هذا القضاء من التوفر على الزراعة والنشاط المستمر وان الاهلين تعلموا منهم بعض الشيء الآن فعلى الحكومة مساواة

الاستعمال فسلبوا ما كان للاهلين من الاراضي والمزارع العامرة واعطوها للمهاجرين الجركس والشيشان والتركمان كما فعلوا بمزارع صويلح ووادي الحمر فقد كانا مسجلين باسم اصحابهما فاعطتها الحكومة للمهاجرين وذلك لانه كتب اليها كتبة ان يخول مأمورية الطابو في هذا القضاء لانه منهم على اولئك فكانوا يساعدون اخوانهم وابناء جلدتهم على سلب الاراضي منهم وتسجيلها باسم المهاجرين وعلى هذه الصورة أخذ المهاجرون ناعور ووادي السير والبقعة والرصيفة وغيرها . صبر الناس على هذا الجور زمنا حتى صحت عزيمة بعض عشيرتي الحرشان والحمور على ان يزرعوا الموقر والعليا والقنيرة وهي على نحو ثلاث ساعات من شرقي عمان يسير في اراضيها الراكب عشر ساعات كما ان بعض الناس يزرعون اليوم سهل الكبد في الموقر وهذا السهل جيد التربة جدا لا اختبر فيه ولا مطر ولو احبت الحكومة احياء الموات حقيقة لاوعزت للاهلين ان يحيوا اراضي الموقر والعليا كلها فان فيها زهاء الف بئر معطلة تحيا بعناية قليلة

والغالب على عشائر هذا القضاء انهم رحل يتنقلون بين الغور في الشتاء واراضي البلقاء العالية في الربيع وفي الصيف يتوفرون على حصاد الاراضي التي لهم في جهات الزيزاء ومادبا وهما مديريتان تابعتان للسلط كما ان عمان مديرية تابعة لها ايضا .

وعموم قضاء السلط المعمورة اليوم ٤٣٠ الفا والاراضي بين حسبان ونور وصخر والبادية لم يسكنه بعد الف او يزيدون ولو ارتفع فيه علم الامن كما يجب واعطيت الاراضي الموات للاهلين وسجلت عليهم بحيث لا يزاحمهم فيها منازع لان اكثر المنازعات تدور على الاراضي لبلغ سكان هذا القضاء نصف مليون نسمة بعد عشر سنين

واهم العاديات الاثرية في هذا القضاء قصبة مادبا فقد كانت كاحدى الخرب منذ نحو ثلاثين سنة فجاءها جماعة من مسيحيي الكرك فاعطتهم الحكومة اياها خربة فعمروها فيما عمروا الان وجدوا فيها آثارا مهمة مثل سوق طوله ١٤٠ مترا له عمد على الجانبين وبينا كانوا يحفرون في انقاض الكنيسة ليقيموا كنيسة جديدة عثروا سنة ١٨٩٧ على قطعة من الفسيفساء في الصحن

قرضوا عنها المعاول وأزالوا ما كان علق عليها توالي الأيام من التراب والأحجار فإذا هو أثر عظيم من آثار مدينة هو معمور (خربة) فلسطين وما فيها من المعاهد المقدسية والكنائس ولو سلمت كلها من معاول البشر حجر وما بلغ ثمنها الملايين والآلاف من الليرات ولكن القطعة الباقية منها تدل على تلك المدينة القديمة التي تقلبت بها أدوار قديماً منذ عهد الإسرائيليين الى المؤابيين الى العرب النبطيين الى المكابيين وكانت في عهد هؤلاء قلعة مهمة واستولى عليها هيركان ملك اليهود قبل المسيح وأصبحت في عهد الرومانيين جزءاً من بترا أو العربية الصخرية. وآثار المسيحية كثيرة في هذه القرية رأينا بعضها في الدور الخاصة فهم يأخذون الأحجار من أنقاض دورها ومعابدها وأحواض مياهها حدث عنها ولا حرج وقد دخل أهلها في المدنية اليوم بفضل مدرستي الروس واللاتين اللتين أنشئتا فيها وليس بين سكانها أناس من المسلمين الا بضع عشرة وحوانيت

قال ابن خرداذبة ان عمل البلقاء كان كورة من كور دمشق كان عمل الغور وكورة مآب وكورة جبال وكورة الشراة وكورة عمان كانت كل منها إقليماً برأسه قال الشاعر

سقيا على دمن أقوت معالمها واستنطق الربع هل يرجع تبيان

قال ياقوت ان مدينة حوش هي شرقي جبل السواد من أرض البلقاء ويعرف السواد بها بواح قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها وفي أرض البلقاء عدة بلاد ورد ذكرها في التاريخ العربي مثل قرية جادية التي ينسب اليها الجادي وهو الزعفران وقرية مؤتة من المشارف التي كانت بها تعمل السيوف المشرفية والموقر الذي كان ينزله يزيد بن عبد الملك قال كثير

سقى الله حيا بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب

والقسطل نزله الوليد بن يزيد وهو قرب البلقاء وحاقه فيه عبد العباس وكان الوليد يستوطن البرية وفي البلقاء قصر الأزرق والمدين قريب من حصن الأزرق والمدين قيل انه من عمل حوران وعامة الروايات على انه من عمل البلقاء.

العمران والسكة الحجازية

ان كان لدور الاستبداد حسنة فقط فحسناته سكة حديد الحجاز التي مدت في عهد المخلوع وشرع فيه قبل أحد عشر [illegible] والذي تم منها حتى الآن القسم الاعظم من دمشق الى المدينة المنورة وطوله ١٣٠٣ كيلو مترات ومن حيفا الى درعا ١٦١ كيلو مترا فانفق عليها في خلال ثلاثة ملايين ليرة وقد صرف قسم مهم منها في مدينة دمشق فانتفع منه الكثيرون التجار والزراع والعملة وبعض أرباب الصناعات والفنون وانفق القسم الاعظم في ثمن أدوات وقاطرات ومركبات وحديد من معامل أوربا

وما كاد ينتهي الخط الى المدينة حتى نهضت البلاد بعض الشيء ولا سيما دمشق والمدينة وحيفا نهضة اقتصادية لا يستهان بها وحسن حال التاجر والزارع وسارت الامور الاقتصادية على نسق مرتب معقول لم يعهد التجارة ذاك الكساد الذي عهده في دمشق ولا الفقر الذي كان في حيفا ولا الغلاء الذي حدث في اسعار المدينة وهكذا انتعشت المحطات على طول الخط من دمشق الى المدينة وعددها ٧٥ محطة ومحطات حيفا ودرعا وعددها ١٥ فاخذت كل محطة تقيد حظها من العمران واتسع مداها في الاكثر ما كان له اثر قديم في الارتقاء

ولو كانت الحكومة اعتمت بعض الالتفات لعمران البلدان لاحدثت [illegible] كل من [illegible] انشاء بيوت ودكاكين وخانات وفنادق في المحطات والمطاعم [illegible] الدوحات يجعلونها حدائق ويبنون عليها مساكن على شرط ان يعمروها في مدة تعين لهم واذا أمكن ان تنبع بعض مياه [illegible] مائة مثلها يستعينون بها على التعمير فكيف لا تنتعش والحالة هذه اذا اعطيت عمالا وفقراء يريدون السكنى في مثل مدائن صالح وعددها لا يقل عن خمسين محلا بدعوى انه لا يسوغ انشاء مدينة الا بإرادة سنية ولولا تعددت الارادات السنيات في الحث على مثل هذه المشروعات التي لا يتصور الغنى عنها في البلاد

وهكذا همت الحكومة [illegible] لوازم الدور والحوانيت ولا تقصر في

وضع العقبات في سبيل من يريد غرس أشجار البرتقال لانه ثبت انها تجود في تربة هـذه البلاد الرملية . وليت الادارة تحمل الحكومة على ترغيب الناس في انشاء الدور والحدائق لما في ذلك من الفوائد لهؤلاء اذ يستغنون باسرابهم عن صرف أوقات الفراغ في القاهرة ومعاقرة الخمرة وقل عدد من يتعاطونها منهم

على ان من العقبات ما لا ينبت فيه شيء بحسب الظاهر ولا تمطره السماء الا ساعات غير منتظمة في السنة ولا سيما بعد أرض العلا ، وهواؤها جاف حار محرق وعمرانها متوقف على عمل كثير طويل ومال وفير ليس بقليل فلنترك هذه العقبات عنك الآن ويشاطرني كل من ود اعتبار الاراضي الموات قرب العقبات وانشاء دور وحوانيت فيها ، بل فعلت الحكومة لاستغنت مع الزمن عن حراسة هـذا الخط بكتائب من الجنود ترابط على طول السكة وقوامها اثني عشرة قطعة من المدينة الى المدينة وهي اليوم تحمل في كل قطار يسافر من بعد تبوك حوالي المدينة جملة من الجنود العثماني المسلح حماية الركاب من عبث البادية اذا حدثت حادث لا قدر الله .

تعوّل عبث البادية ولو أعطت الحكومة البدو منذ اليوم الذي بوشر فيه بمد هذا الخط الحربي الديني التجاري الأراضي لهم من تلك السهول الخصيبة في ذات السكة ما كانوا الآن استغلوا بزراعته عن شن الغارات وايذاء السابلة طمعاً في القماش الذي يسلبونه به ولو قرروا على تربية مواشيهم وزروعهم كما يفعل اليوم متوحش في افريقيا الجنوبية ومتوحش في قفار استراليا واستوطنات في مدن الحجاز والشمال والطارئة في السكة وغيرهم في غيرها وكل هؤلاء من العرب الرحل يأنسون بالدعة والحصول على أولادهم ويحصرون في ارباح الزراعة والماشية ولا تحدثهم بعد من البادية بما تسكنه الاضطراب التي في جوارهم وحب الاعتداء عليهم .

وللسكة الحجازية الفضل الاكبر في تأمين شارد البدو اذ عرفوا بها قوة الدولة ومنعتها كيف تخرج كل معتد ولما انشئت عظم حاصلاتهم الى الاسواق التجارية الكبرى فتكاثرت الحبوب تتكاثر في بعض المدن القريبة في جهات ذات السكة

وحوران فاصبحت اليوم تسافر في القاصية وأبواب الشام والحجاز والبحر مفتحة امامها وهكذا يقال في السمون والجبن والألبان والأصواف التي تحمل من بلادهم ومزارعهم والشاء [illegible]

في بلاد الكرك وحده أراض موات تكفي لاعاشة كل أهل البادية من العرب خصوصاً وهم الموصوفون بذكاء قلوبهم وصفاء عزائمهم فاذا توفرت لهم الأسباب تحصل الفائدة الاقتصادية والسياسية المطلوبة من السكة الحجازية فتعمل هذه في نقل الأنفس والأموال والمتاجر السنة كلها لا كما هي اليوم تشتغل أشهراً معدودة من السنة في موسم الحج فتعطل الأمور الا قليلا وان من عرف ان هذا الخط عمر بالاعانات التي جمعت من أقطار العالم الاسلامي وعمله ضباط العثمانيين وكتائب جنودنا وان مات هلكوا في سبيل انشائه حيث لم يكن يمد الكيلومتر الواحد الا على أشلاء بعضه من رجالنا يأسف على تساهل ادارة السكة مع الضباط والجنود والخط خط عسكري

ولقد لاحظنا ان القطار الحجازي يقطع المسافة اليوم بين دمشق والمدينة في ثلاثة أيام بلياليها يقف منها في المحطات الكبرى مثل درعا وعمان وتبوك والمدائن نحو اثنتي عشرة ساعة دع عنك الوقت الذي يصرفه في المحطات الصغرى وان معدل سيره الى عشرين كيلومتراً في الساعة فلو جدت الادارة في اختصار هذه المدة في الوقوف وحملت قطاراتها على الاسراع قليلاً في سيرها وسرعها لقطع القطار المسافة بين دمشق والمدينة وبين حيفا والمدينة في يومين وليلتين فتوفر على الناس نصف نفقات السفر واذا رأت الادارة انه يلائم مصلحتها الاقتصادية تنزيل أسعار الركوب في الدرجة الأولى والثالثة وأجرة الركوب في الثالثة من دمشق الى المدينة أربع ليرات وفي الدرجة الأولى ثماني ليرات فسقطت منها الى الأقل ثلاثين في المئة لاستفادت فيما نحسب أكثر وكثر الذاهبون والآتون وعظمت الفوائد من ذلك فيقصدها قاصد المدينة أكثر من الآن للزيارة والتجارة ويقصد الطلاب من بلاد الشام ليصطافوا او يتجروا

وليت الحكومة تتساهل في الاعتماد على أبناء البلاد وتختار الجند الذين يحرسون الخط من أبناء حوران مثلاً فهم أقدر على تحمل المشاق من ابن مدن آسيا الصغرى وسورية ومقدونية ومثلها في التجربة التي جربتها في الطابور الذي ألفته من الشروق بالأجرة وسمته هجين سوار أي فرسان الهجين والشروق هم سكان شرقي المدينة أي نجد فقد ثبت لها ان ابن هذه البلاد أنفع في خدمتها اذا شبع من ابن البلاد القاصية والفارس النجدي اليوم يتناول ٤٠٠ قرشا صحيحا في الشهر هو وهجينه فقط وما الجندي يكلف الحكومة أقل من ذلك فضلا عن تعرضه للهلاك من هواء بادية العرب وكذلك يقال لادارة السكة ان تختار عمالها من العارفين لغة البلاد قبل أن يعرفوا التركية لأن في ذلك فوائد مهمة تحفظ نفسه واذا كان لابد من الاستكثار من أبناء آسيا الصغرى وغيرها في جملة عمالها فعليها الا أن تشترط عليهم تعلم العربية وبذلك تتضاعف خدمتهم للادارة والبلاد معا على أن ابن العراق والجزيرة والحجاز أقدر في كل حال على تولي اعمال هذه السكة خصوصا في النصف الأخير منها من جهة المدينة

وقد لاحظنا على ادارة السكة اهمال عمالها النظافة في المركبات ولا سيما في الدرجة الاولى بحيث انها لا تزيد الراكب فيها راحة الا بكون مقاعدها مفروشة بالجوخ (الشاية) وهي أضيق من مقاعد الدرجة الثانية ولا يخفى على القائمين بأمر السكة الحديدية ان التدخين محظور في القطار في الدرجات الثلاث بأوربا دع تعاطي المسكرات وانه ليسوءنا ما رأيناه من اثنين من موظفي الحكومة الذين كانوا آتين من المدينة المنورة يحملون في مركبات الدرجة الاولى سفرة الشراب ويتعاطونه مع النقل اللازمة له والأغاني التي يطربون بها كأنهم في حانة أو بيت خاص من غير نكير يؤذون بذلك جلساءهم ويكونون بسيرتهم أعظم عار على السلطنة والاسلام فليت ادارة الشركة تحظر الشراب في القطارات والمحطات على ركابها وعمالها مباشرة وتعزير من يجرأ على خرق حرمة شريعة الاسلام وقانون المدينة الحديثة بغرامة ثقيلة وترى كل مقترف لهذه الكبيرة فإن كلا من عمال الحكومة الا من

عصم الله من يفسدون أخلاق الرعية بما يمدونهم إليه من أعطيات كؤوس الراح في المديريات والأقضية والألوية والولايات فالحري بالحكومة أن تكشف مفاسدهم على الأقل من فساد البلد الطيب بحجة الإنسانية والإسلام

بعض أحوال الكرك

قال غرس الدين (١) الظاهري وأما المملكة الكركية فإنها هي من الشام وهي مملكة بمفردها وتسمى مآب وهي مدينة حصينة معقل من معاقل الإسلام بها قلعة ليس لها نظير في الإسلام ولا في الكفر تسمى حصن الغراب لم تكن فتحت عنوة قط وإنما فتحها المرحوم صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد فتح القدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت بيد البرنس أرناط وكان يتعرض إلى حجاج بيت الله الحرام.

وقال إن الشوبك كانت مدة بيد الإفرنج وهي مضافة إلى الكرك وحصينة أيضا ومسيرة مملكة الكرك من العلا إلى الزرقاء مقدار عشرين يوما سير الإبل وهي بلاد عديدة بها قرى كثيرة ومعاملات والمسلك إليها صعب في مضايقات قليلة الماء حتى أنه إذا وقف أحد على درب من دروبها منع مائة فارس اهـ.

هذا في لواء الكرك حالا [illegible] معالمهما ومعا قصة الكرك وقصة السلط والأولى كما توهمنا أعرضنا وأما هذه التي يه وأما أعرضنا سمعنا به من وصفنا وهذا من جملة الأسباب التي تدعو أهالي البلقاء أن يطلبوا إلى الحكومة جعل السلط في التقسيمات الإدارية مركز لواء يضم أراضي [illegible] من قضاء عمان وجعل [illegible] إليه وجعل مادبا قضاء وعمان قضاء والزرقاء قضاء وبذلك يتوفر على أهل الناحية من لواء الكرك العناء الشديد الذي يلاقونه بشد الرحال إلى حاضرة اللواء كلما عرض لهم عمل فقد علمنا أن أكثر الناس يستنكفون من أداء الشهادة إذا طلبوا إليها من السلط إلى الكرك مثلا ويكرهونها ويتحملون الإثم في ذلك لأن البعد

---

(١) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

يستحيل عليه ان يضيع بضعة أيام في الذهاب والاياب ويتكلف مالاً طائلاً نفقة في السكة الحديدية وأجرة دواب

فاذا اختار ابن السلط مثلاً ان يذهب الى الكرك يضطر اما الى المسير ثلاثة أو أربعة أيام على الدواب ذهاباً ومثلها ايابا واما ان يركب دابة ٣٥ كيلو مترا من السلط الى عمان ومن هذه وهي في الكيلومتر ٢٢٢ يركب القطار الحجازي الى القطرانة وهي في الكيلومتر ٣٢٩ ومنها يركب دابة الى الكرك مسيرة ست ساعات وهكذا يتكلف من له عمل طفيف في مركز اللواء الى مال جزيل ووقت طويل .

والشكى من ذلك ان معان وهي في الكيلومتر ٤٨٩ بل ان تبوك وهي في الكيلومتر ٦٩٢ بل ان مدائن صالح وهي في الكيلومتر ٩٥٥ اذا اضطر أهلها الى قصد الكرك يقطعون هذه المسافة في السكة الحديدية أو الدواب وكلاهما شاق مجاح بالوقت والمال فتقسيم لواء الكرك الاداري مشوش مضطرب وما احراه ان يقسم لوائين احدهما مركزه السلط كما تقدم والثاني يجعل مركزه في معان أو اذرح وهي مدينة متوسطة من اللواء ولكنها اليوم خربة لا ساكن فيها وكانت من المدن العامرة قبل الاسلام وبعده حتى ان أهلها صالحوا في غزوة تبوك على الجزية فبلغت مائة دينار في كل رجب وذكر المقدسي انها مدينة متطرفة حجازية شامية وعندهم بردة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعهده وهو مكتوب في ادم وبذلك يستدل انها كانت عامرة في القرن الخامس للهجرة بل عامرة الى عهد قريب وكانت هي ومآب مدينتي الشراة

وأرض الشراة من الشوبك الى رأس النقب كما يحددها الاهلون اليوم أي مسيرة يوم طولاً وعرضها ساعتان وهي الارض المفلوحة مؤلفة من تلعات واودية وفيها عيون غزيرة لا تقل عن أربعين عينا [illegible] كثرتها وقسم منها الآن في عمل قضاء الطفيلة والآخر في قضاء معان وعلى جنوب الشراة بلاد طي أو جبال طي وهي الحد الجنوبي لسورية كما عرفها العرب قبل حاتم الطائي وقد أشارت

على لسان الحارث بن عمرو المشتي وقتلوا أباه له (١)

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكر   وما ذاك من حب النساء ولا الأشر
ولكنني مما أصاب عشيرتي   وقومي بقران حوالهم الصبر
ليالي نمشي بين جيش ومسطح   نشاوي لنا من كل سائمة جزر
فوليت خير الناس حيا وميتا   يقول لنا خيرا ويمضي الذي ائتمر
فإن كنت شر فاقرأه فإننا   على وقعات الدهر من قبلها صبر
سقى أقرب الناس المعاودة   جنوب الثرى من ما أتى الى زفر
بلاد امرئ لا يعرف الذم بيته   له المشرب الصافي وليس له السكر

وفي الفرع عيون ماء عزيزة فوق الأرض وادعة يمكن تعميرها كلها وهي قابلة لإصلاح الأراضي الى رسم خصيب وهو على أربع ساعات الى الغرب الشمالي من معدن وعلى ثلاث ساعات من وادي [illegible] والقاضي [illegible] وعمقها موجودة لإصلاح الأراضي التي فتكون مدينة تامة الأدوات في بضعة أسابيع وفيها اليوم أهالي ثلاثة [illegible]

وربما يستحسن بعضهم أن الفرع جعل مركزا للسكة في الأرض وهي خراب وتمرك السكة وهي المشهورة بأنها خلت جانبها من المركز المخصص الا أنه على حال يحتمل من الخرائط أن تكون عاصمة كبرى فضلا عن مركز السكة ولكن مراكز الحكومات يجب أن تكون في نقطة متوسطة والسكة منحرفة عن طريق السكة الحديدية ومنحرفة عن نقطة دائرة [illegible] وخرابها القديم لا يصلح لها الا وتكون لها كرة على مدائن صالح وبعده عن السكة على بعد ٢٦٠ كيلومترا الى الأجفر الى أن تكون العلة تبوك ومدائن صالح كلها لا طاقة برأسه الا ولاية الحكومة تخص البادية وتحكم أهلها على ما يجب

وقد يعترض بعضهم بقوله إن المدن تستحيل في هذه الأصقاع ما دامت

---

(١) في ديوانه المطبوع بلندن سنة ١٨٧٢

خالية من السكان ولا ماء فيها ولا كلأ ولكن الحكومة الصالحة تجذب اليها الانفس كما تحمل الاموال وناهيك بأن عشيرة الفقرا وهي لا تقل عن ٨٠٠ بيت تتنقل بين تبوك ومدائن صالح تسكن في مدة قليلة وذلك لأن الاراضي موجودة بكثرة والمياه اذا حفر في الارض لاجلها اربعة امتار تنبط حالا والبقاع التي تزرع مستعدة كل الاستعداد لزراعة البرتقال والنخل فاذا أخذت الحكومة بايديهم فذاقوا لذة الكسب يعدلون عن عيش الغزو الذي يسوقهم اليه فقرهم ولا يلبثون ان يصبحوا كسائر العرب الساكنة يدفعون الضرائب ويخدمون في الجندية مثل عامة العثمانيين

لا نعتقد ان الكرك يتراجع عمرانها اذا نقل منها مركز اللواء لانه بعد هدمها من الفتنة الاخيرة قد خربت بحيث لم تعد صالحة لسكنى أهلها ولا موظفيها الا بعد بضع سنين على ان الحكومة قد جعلتها نحو عشرين سنة مركز لواء ولم ترمم قلعتها ولا أتمت مكتبها الكبير ولا مسجدها الجامع فانت الآن اذا دخلتها تنقبض نفسك من بعد ترى الخراب يحيط بها من كل جانب فتشاهد وعينك تدمع خرابا في المنازل وخرابا في النبات وخرابا في الجماد ومثل هذا البلد يعمر بالعلم والعرفان أكثر من عمرانه بالسيف والسنان.

تنفسح النفس من الكرك على جبال في طبعها وهي تطل من جهاتها الاربع على مناظر عظيمة ومنها البحر الميت ووادي الاردن الى أعالي جبال أريحا وذلك لأنها كانت في معظم ادوارها التاريخية ظالمة مظلومة واشتهر اهلها بحب الغارة على عهد الاسرائيليين والموآبيين وحاربها شاول وداود وقاومت قلعتها جيورام ملك اليهودية فرجع عنها مدحورين واصبحت للموآبيين في القرن الثاني قبل المسيح واصبحت الكرك مفتاح تلك البلاد على عهد الصليبيين واستولى عليها رنودي شاتيون الذي يسميه مؤرخو العرب البرنس أرناط وذلك لانها مشرفة على طرق قوافل مصر وبلاد العرب القادمة الى سورية ولذلك حاربها صلاح الدين يوسف بن ايوب حربا عوانا وقاوم الافرنسيون فيها وحصونها ولم تزل ملوك مصر والشام يحاصرونها ويقتلون اهلها فيها وآخر اعمال الكركيين دفعهم عسكر ابراهيم باشا المصري

ثم فتنتهم الاخيرة المشؤومة ويبلغ المسيحيون في الكرك نحو اربعة آلاف نسمة اكثرهم روم وقليل لاتين وقليل من البروتستانت وفيها مدارس حقيرة لذكورهم واناثهم ولئن كان المسيحيون اليوم على مستوى جيرانهم المسلمين وكانوا نحو ١٠ أضعافهم في الحوادث الاخيرة أرقى بقليل في المدنية فسيكون مستقبل هذه البلاد لهم وناهيك بان تلامذة المكتب الرشدي اليوم وهم زهاء ثلاثين تلميذاً كلهم من أولاد المسيحيين واذا كان فيهم التلميذ الواحد أو الاثنان من ابناء المسلمين فيكون كسلاً غير مواظب هذا في مدارس الحكومة فما بالك في المدارس الطائفية المسيحية وتجارة البلد بايدي اناس من أهل دمشق والخليل ولكنهم فقدوا أموالهم في الفتنة ولم يعوضوا عنها حتى الآن سوى سبعة في المئة مما فقد لهم

ولم تبق الفتن من العاديات القديمة ما يذكر في هذه المدينة الا بعض الانقاض دائرة وجميع هذه الديار كانت عامرة وهي اليوم مأوى الغراب والبوم وناهيك بان الحجون الواقعة على ساعتين من الكرك كانت بحسب ما رأينا من انقاض الرجوم الصحيحة من المدن المهمة فاصبحت اليوم والحكومة تسكن فيها طائفة من المهاجرين ويعمرها دون الالبانيين الذين رحلوا عنها اذ رأوا انفسهم مرضى بسبب الماء والهواء وتركوا منازلهم خاوية وتركتها الحكومة في بعض ابناء البلقاء وما ندري كيف انقلبت طبيعة تلك البلاد العامرة قديماً حتى اصبحت المدينة منها لا تصلح لان تكون مزرعة حقيرة لفساد هوائها وما كانت في الماضي الا وسط العمران العامر

العربية الصخرية

طريق الكرك من القطرانة وطريق وادي موسى من معان يخترقان تراب كلسي مزروع يصلح للاستعداد فيه للزراعة اليوم ولذلك تلك اذا توسعت تلك السهول وعرضها نحو ثلاث ساعات من الخط الحديدي ثلاثة في غربيه على اذا انتصف الطريق تتراءى لك بعض عيون وزروع والمسافة بين معان ووادي موسى سبع ساعات تماماً كما هي بين القطرانة والكرك. ووادي موسى هو

قرية الجي وعلى نحو ساعة منه بترا أو القرية الصخرية كما يسميها الافرنج ويسميها العرب سلعا والسلع الشقوق في الجبال والغالب ان سلعا قسم من القرية الصخرية وهي عبارة عن جبال (اذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها) وحدثنا من زار خرائب الحجر أو مدائن صالح انهما دون خرائب بترا بمكانتها .

وكان لبترا هذه شأن عظيم على عهد الادوميين والنبطيين العرب وقياصرة الرومان والمكابيين وامتد حكمها الى دمشق وكان بيدها زمام التجارة مدة قرون في هذا الشرق الادنى ولم تنحط الا بارتقاء مملكة فارس وانبساط ظل سلطان تدمر ولما جاء الاسلام كانت خرائب كما هي اليوم والغالب ان بقايا عمدها أتت عليها الزلازل فدكتها كما دكت غيرها من المصانع والآثار

اذا أشرف الراكب على قرية وادي موسى يرى روح النعيم فيها خصوصا ويكون قد قطع ساعات في صقع أجرد أمرد ليس فيه من الاشجار الا الزعرور ولا من الغلات الا القليل من الحنطة والشعير لكن في وادي موسى حدائق بديعة تسقى من العيون الدافقة عليها من الهضاب المجاورة حتى تخال نفسك لما تراه من بهجة خضرة الشجر في صقع عامر زاهر فاذا قصدت الى ناحية بترا وتمثلت في السيك أي دخلت بين الجبلين المتناوحين العاليين وكل قطعة منهما تبلغ أبعادها من الامتار المربعة طولها من ٣٠ الى ٥٠ متراً وأنت تسير في طريق لا يقل عرضه عن خمسة أذرع ولا يزيد عن عشرة ليس فيه الا الاحجار والحصا أو مسايل ماء لا ينبت فيها الا الدفلى والطرفاء تشاهد في الاعالي النواويس والقبور والمسلات محفورة في الصخر ويتفرج الطريق مسيرة نحو ثلث ساعة وينقسم قسمين قسم ذات اليمين وفيه تتمة المدينة والقسم الآخر جبال طبيعية تمتد الى بعيد وتتصل بجبل هارون من أعالي المناظر المشرفة على تلك الاودية والجبال

وهنا يتمثل أمامك قصر فخم يسميه الناس خزنة فرعون والغالب انه كان معبدا لاوزيس أنشئ على عهد الامبراطور ادريانوس الذي زار هذه المدينة

سنة ١٣١ وفي واجهة هذا القصر رواق يتقدمه بضعة أعمدة كبرى وفوقها ثلاثة أعمدة أصغر منها وعليها نقوش وتيجان وربما كان يصعد الى العلية بسلم من الصخر بدليل ما يشاهد في الحائط من أثر الادراج واذا دخلت هذا الرواق ترى على اليمين قاعة كبرى تلمع أحجارها وتتموج كأنها خرجت الآن من يد ناحتها وفي الجهة اليسرى قاعة مثلها وفي الصدر القاعة الكبرى أو الردهة المدهشة وكل هذه العمدان والسواري والتيجان والقاعات والرواق محفور في الصخر أو في هذا الجبل قطعة واحدة فكأن الحجر كان بيد صانعي هذا الهيكل وغيره من الهياكل والنواويس والقصور كالطين يحفرون منه ما يشاؤون والذي يزيد في الدهشة ان الحجر أحمر في هذه الجبال أو من نوع الحجر الرملي ولكنه بمتانته كالصخر الاصم ترى عليه ذلك الجمال من موجة حمراء الى أخرى زرقاء الى بيضاء الى خضراء دكناء فسبحان من أنشأ هذا الصخر هنا مقطع الفكر يعترف بانه يد صناع تفنن في تنظيمه وغيره بما فاق به البناة في سائر عاديات سورية فان كانت قلعة بعلبك تنم عن ذوق سليم وعلم واسع في النقش وجر الاثقال فان هذه العاديات الخالدة الازلية تنادي بلسان حالها هذه عظمة الخالق الى جانب عظمة الانسان .

وترى الى جانب الآثار قناطر الماء في جانب السيك الذي يشبه من بعض جهاته الفج الواقع في شمالي مدخل قرية معلولا في جبل سنير (قلمون) والشجر عو القامة استحجرت مع الصخر حتى كأنها منه وهناك على بضع دقائق من خزنة فرعون كان في الغالب مخزن ماء هذه العاصمة ورسمها دال على قربه من مخزن الماء وهو منقور في الجبل أيضا ملعب التمثيل نقر في الصخر وله ٣٣ مرقى حول حوض المتفرجين ويسع ٣٠٠٠ نسمة وفي هذا الجوار أعمدة ونواويس وأهمها بعد ذلك ما يسمى قصر البنت وهو بناء من الحجر رصفت حجارته كما ترصف الابنية الضخمة من قلاع وابراج وأسوار ونحوها والغالب انه كان للمتأخرين شبه دار الحكومة وهو عامر وبقي بعد الاسلام وهدم ولا سيما في خربة النصارى آثار بعض أديار يدل اسمها ورسمها على انها من عمل المسيحيين عندما كانت لهم حكومة هنا على عهد الرومان

واليونان ولعل مقربة من تلك الجبال الشوامخ والمنعرجات والأودية بعض نواويس وآثار ولكنها دون آثار بترا في المكانة وفي جبل الصبر ملعب أو صورة تمثل قتالا بين سفن حربية

ويقول بعض علماء الآثار من الالمان (١) ان معظم القبور التي حفرت على مثال قبور الحجر يرد عهدها الى الملك اريتاس الرابع أحد ملوك بترا أي ٩ و٣٠ سنة قبل المسيح وبعده ولابن في وادي موسى أعمدة من قبل الحكم الروماني عليها ولعل ما يشاهد من صور أبي الهول وايزيس وتدوس الهلال يدل على ان هذه البلاد تأثرت بالمدنية المصرية والتمثالان الموجودان في القصر يمثلان ربي النبطيين اللات ودوشارس وانها كانت من مراكز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون على الأقل وان المدنية اليونانية دخلت وادي موسى على عهد البطالسة فتغلبت على العنصرين المصري والسوري وظل القول الفصل فيها للمدنية اليونانية الى عهد اريتاس الرابع وفي بترا ٨٥١ مصنعاً من القبور والمعابد والمذابح

وبالجملة فان من أراد ان يتوسع في درس هذه المدنية الاثرية وجب عليه ان يصرف الليالي في خرائبها كما يفعل بعض سياح الافرنج وعلماء الآثار منهم فيقصدونها يصرفون فيها أعوامهم ويصرفون في امتاع النظر بها الأسبوع والأسبوعين وعلى من يحب التوسع في البحث ان يستعين بما كتبه علماء الآثار من المصنفات في وصف هذه المصانع بالانكليزية والالمانية والافرنسية وغيرها من لغات المدنية الحديثة

في جوار هذه العاديات المدهشة المبنية قرية راقية جدا ينزل نحو الف نسمة من العرب يأتون اياما قلائل الى الجي او وادي موسى لحصد زرعهم الشتي ثم ينتقلون في الصيف والشتاء في جبال الشراة على ساعتين أو ثلاث أو أربع من بلدهم في خيام الشعر وهم فرقتان تؤلف الاولى من عرب الشرور وبني عطا والثانية من الهلالات والصيدية والعلاة ويغلب عليهم الفقر ومنهم من يزرع في أراضي الحويطات والعميرات على مقربة من بلدهم بالخمس وليس فيهم من يقرأ ولا من يكتب وفي وادي موسى

---

(١) المقتبس م ٦ ص ٨٨

مدير حديثا يتبع قضاء معان كما كان في الشوبك مديراً . ويلبس أهل وادي موسى الكوفية والعقال ويسمونه الزر والعباءة وقمصانا سوداء ولا يلبسون سراويل وفي أرجلهم نعال يصنعونه من جلد البعير ويربطونه بحبلة يدخل منها بإبهام الرجل تعلق وفي القطيع يعبر قطع مثل قطع سروال السراويل وقطع الهدوم الثياب العتيقة وقطع البعد للأراضي الخصبة والقابلة للفلاحة وغير ذلك . ويعنون كثيرا بتربية البقر والغنم والمعز ولا إبل عندهم مثل بني صخر

وما يشكوه أهل معان يشكو منه أهل وادي موسى يشكون من أن الأراضي للفلاحين غير مسجلة بأسمائهم ولا تشترى بالسجلات والمعاملات تجري بالكتابة الى حين نقله لتسجل قريبا في سجلات الحكومة ولا تعطى الا ما تصيبه من الاموال الاميرية وهي ضريبة تضرب في الفلاح الى كذا واحد من عشر ولا تدور على زراعة الارض كلها واذا قتل البدوي أحد أهل الفلاحين من هذا لا يحكى على شيء . واذا قتل الفلاح من أهل معان ووادي موسى رجلا من أولئك البدو علقته الحكومة الزمته وحبسته وارهقته فتكون الحكومة لا تقوى الا على الضعيف حقيقة الحال . سألنا أحد كبار شيوخ وادي موسى هل زرت الشام مدينة دمشق في حياتك فأجاب اني لم أزرها أنا ولا أحد من أهل بلدي واني لم أرها بالطريق عشرة أيام لا نركب القطار وفي السكة الحديدية الحاج الى الحرة أملاكا حياتي قاتل .

وبعد قليل من أحوال الناظر اذا خرجت من البيك أو من الصدفين أي جانبي الجبلين وفارقت تلك القرى والظلال تقصد الى عين موسى صعدا في هضاب عفاء تنيا وأطلت على تلك القمة التي يشتمل على أعلى جبل من جيوش العالم التي بها يستطيع من فيها اذا أرادت الدولة تشرف من هنالك على أراضي واسعة جدا علما كثيرا من أودية الشيء ومنها وادي العربة طوله ثلاثة أيام الى الغرب وعرضه الى الشمال أربعة من العقبة الى الغور وفي تربته جنيا وأشجار وسيال والملاح ونبات كذلك وأقرب منها بعض الخضرة كما تجدها

وهناك بعض الاشخاص العربية ويقصد البدو هذا الوادي في الشتاء لانه غور يرعون فيه مواشيهم كما يقصد أهالي الطفيلة والكرك والسلط ماجاورهم من الاغوار الى الغرب من ديارهم ويقصدون جهات الشرق في الربيع ويتوسطون في الشتاء والصيف

هذا انموذج من عيش أهل الشعر والمدر من البوادي ممن تشهد خيامهم السوداء كما قال ابن معتوق في وصفها

قطع من الليل البهيم على الثرى   سقطت وفيها أنجم الجوزاء

والتي قالت فيها الشاعرة الاعرابية يوم زوجت في دمشق واسكنت القصور والقصور من الطين والحجر

لبيت تخفق الارياح فيه   أحب الي من قصر منيف

أو كما قال الشاعر

الحسن يظهر في شيئين رونقه   بيت من الشعر أو بيت من الشعر

ولقد أحيينا الليل غير المرة الاولى وسمرنا ليلة في أرض البلقاء على شيخ من عرب الشرق اسمه محمد ابراهيم وأخرى في بير البيطار على محمد أبو الفرج شيخ بني سطا وعدوان الغزلان على مقربة من وادي موسى وكنا ثالثة في البتراء عند عوال بن مطلق شيخ مشايخ بني صخر ورأينا العيش البدوي على اختلاف طبقاته ديمقراطيته وارستقراطيته وبتنا في العراء تخفق علينا الرياح وخرجنا عن مألوف العادات فشربنا من كأس شربنا منها عشرات قبلنا فلم نفضل عليها القهوة وأكلنا الحريش مخروطا باللبن الرائب والخبز عليه رقاق نقطعها قطع التمر والدهن يغوص بدون ملعقة ولا شوكة ولا سكين ولا صحفة صاحبة ولا منديل ونأكل بأيدينا وسامرناهم وسمعنا أحاديثهم واستصحنا بعضهم لنصرح لنا أي العيشين أفضل لهم البداوة أم الحضارة فقال انه الشيء بالطبع لا بالعقل ما نشأ عليه المرء يحن اليه داوموا على عيشكم واقتربوا من المدنية ما استطعتم لكم عيشكم ولكن الامر لكم ان تنفقوا عن تعليم أولادكم ليشبوا أعضاء مدنية أكثر من آبائكم وعندها اذا أحبوا ان ينقطعوا عن عيش الخلاء فلا بأس عليهم في ذلك .

اني أخاف عليكم أيها العرب اذا عاشرتم الحضر أكثر من عشرتهم ان تقتبسوا

المكارم العربية ويختلط عليكم أمركم وتضيعون حضارتكم السابقة إلى ما نشأ منه حضارتنا من القلق والكذب والزور والخديعة ولولا الغارات لآثرت ان أعيش في هذه الخيام بين البوادي .. أشهراً معدودة من السنة «بدوي»

مصر والمملكة الإسلامية

العالم الجغرافي العربي

من أمهات كتب الجغرافيا العربية القديمة التي أحياها الطبع على يد احد أئمة المشرقيات في الغرب وطبعتها مطبعة بريل في ليدن من بلاد هولاندة طبعة ثانية سنة ١٩٠٦ كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري «ذكر فيه الأقاليم الاسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة وعناصر العقاقير والآلات ومعادن الحمل والتجارات واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم ونقودهم وصروفهم وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يحمل من عندهم واليهم وذكر مواضع الأخطار في المفازات وعدد المنازل في المسافات وذكر السباخ والصلاب والرمال والتلال والسهول والجبال والحوامد والسواحل (؟) والسمين منها والرقاق ومعادن السعة والخصب ومواضع الضيق والجدب وذكر المشاهد والمراصد والخصائص والرسوم والممالك والحدود والمصارد والجروم والمخاليف والرسوم والطساسيج والتخوم والمسالح والعلوم والمناحس والمتاجر والمناسك والمشاعر»

قال: «وعلمت انه باب لا بد منه للمسافرين والتجار ولا غنى عنه للصالحين والأخيار اذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء وتطلبه القضاة والفقهاء وتحبه العامة والرؤساء وينتفع به كل مسافر ويحظى به كل تاجر. ثم لم أر جمعه الا بعد جولاني